Received : 22 / 6 / 2025 Accepted : 16 / 7 / 2025 Published : 9 / 7 / 2026

نسق الترسيخ الحجاجي في شعر أجود مجبل

عهود يزل جبر طالب عويد الشمري

ahoodalhloa@gmail.com

الجامعة المستنصرية ، كلية الآداب

الملخص

إنّ الشاعر أو الأديب يعمد في أثناء كتابته أو إبداعه إلى ترسيخ مجموعة من الأفكار تتحوّل إلى أنساق راسخة في سياق توظيفها، بوصفها "مجموعة من الأجزاء تكون متماسكة ارتباطا ومتكاملة حركيا ومتكافئة وظيفيا ومتناغمة إيقاعيا، فالنسق يتنفس ويحيى وجوديا ووظيفيا عبر تكامل وظائف أجزائه المترابطة" (الدايم، 2011م، صفحة 13) . ومن منظور آخر يُعرّف النّسق بأنّه: "مجموعة من الآراء والنظريات الفلسفية ارتبطت بعضها ببعض ارتباطا منطقيا حتى صارت ذات وحدة عضوية منسقة ومتماسكة، وهو أعم من النظرية" (الظاهر، 2014م، صفحة 346) . وعلى هذا يكون ترسيخ النسق هو تأثير الخطاب في الثقافة السائدة لدى المتلقين، بوصفه يحمل أمورًا يهدف إلى ترسيخها في عقلية المتلقي (اللويش، ٢٠١٠م، صفحة 127) فيصبح النّسق نمطاً ثقافياً ينعكس في السلوك وأسلوب الحياة ومنظومة القيم (اللويش، ٢٠١٠م، صفحة 131) .

ومن وجهة نظر البنيوية فإنّ النّسق يعدّ مجموعة من العناصر التي تتفاعل مع بعضها سواء أكانت ماديّة أم غير ماديّة (بوحسن، 2003م، صفحة 23) ، وبناء على ذلك يكون النّسق مجموعة من العناصر المتداخلة التي تشكّل كلّا موحدًا.

الكلمات المفتاحية: النسق، الترسيخ، الانساق الترسيخية في النقد الثقافي، المفارقة

The Argumentative Consolidation Pattern in the Poetry of Ajwad Mujbil

Ohood Yazal Jabr Talib Owaid Al-Shammari

Al-Mustansiriya University, College of Arts

Abstract:

During their writing or creativity, the poet or writer seeks to consolidate a set of ideas that transform into solid systems in the context of their employment, as "a group of parts that are cohesive in connection, integrated in movement, functionally equivalent, and rhythmically harmonious. The system breathes and lives existentially and functionally through the integration of the functions of its interconnected parts". From another perspective, the system is defined as: "a group of philosophical opinions and theories that are logically linked to one another until they become an organic, coordinated, and cohesive unit. It is more general than theory". Accordingly, the consolidation of the system is the influence of discourse on the culture prevailing among the recipients, as it carries matters that it aims to consolidate in the recipient's mindset. The system thus becomes a cultural pattern reflected in behavior, lifestyle, and value system. From a structuralist point of view, the system is a group of elements that interact with each other, whether they are material or immaterial. Accordingly, the system is a group of interconnected elements that form a unified whole.

Keywords: system, anchoring, anchoring systems in cultural criticism, paradox

المقدمةُ

ولعلّ أهم سمات الشعر وخصائصه أنّه يستطيع الكشف عن المشاعر الداخلية والخبرة المعرفية عند الشاعر، والتي تتطلب المهارة عند تناول مجالات الحياة والمجتمع الذي يعيش فيه والفترة الزمنية التي عاش ويعيش فيها، ولهذا فإنّ تجربة كل شاعر تتوضّح

DOI: https://doi.org/10.47831/xew5rz71

بمفردات متعددة تصوّر جوانب حياته وتظهر ميوله، ومشكلات المجتمع التي لا يمكن للأشخاص العاديين أن يبوحوا بها سواء على الصعد الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

وقد اهتمّ النقد الثقافي باكتشاف الأنساق الترسيخيّة بوصفها عناصر حجاجيّة وقد كانت الدافع الأهم لتكوين النصوص، كما أنّه اهتمّ بكل مكونات العملية الإبداعية من الإنتاج إلى السياق والتلقي والقصد (الكندي، د.ت، الصفحات 64-65) .

وفي هذا الورقة البحثية سيحاول تسليط الضوء على ترسيخ بعض القيم والعادات التي حاول الشاعر أجود مجبل ترسيخها وتجدر الإشارة في هذا المقام إلى أنّ الحديث عن الترسيخ سيكون أسطر شعريّة من القصائد أو انتقاء دفقات مجتزأة ومحددة أو بالوقوف على العنوانات الكبرى وقراءتها في ضوء سياقها الذي وظّفها الشاعر فيه بما يخدم توجهه ومقصده.

1ـ ترسيخ الرموز الكبرى:

كثيراً ما يثري المضمون الشعري رموزاً تاريخية ودينية وأسطورية لما لها أهمية خاصة تربطها بأحداث مهمة ومواقف معهودة ويكشف الكثير من المعاني التي يصعب الحديث عنها بطريقة مباشرة وقد حظيت الشخصيات الدينية والتاريخية بنصيب وافر من عمليات الاستحضار فجعلها خلفية للموقف الشعوري الذي يعبر عنه، واتخذ من صفات الشخصيات والأحداث، ما اشتهرت به من دلالات عبر التاريخ رموزا مفسرة لموقف ورأي في الواقع المعيش ((السلطان، 2010م، صفحة 2) يستدعي الشاعر أجود مجبل رموزاً دينية وهي شخصية النبي نوح ويجعل منه دليلا على الصبر وتحمل الأذى في قصيدته (لا نوح في الطوفان) (مجبل، 2024م، صفحة 366) :

حبيبتي، كوني وصلاً ببال سفينةٍ
والليلُ موجُ
وراءَ مدىً غريقٍ غاب نوحٌ
وللطُوفانِ في الآفاقِ أوجُ
ستغرقُ للطغاةِ به بُروجٌ
وللعشّاقِ سوف يظلُّ بُرجُ

يوظف الشاعر شخصية النبي (نوح) عليه السلام ضمن بنية حجاجية رموزية، إذ أن شخصية النبي نوح تمثل رمزاً للنجاة من الهلاك والموت، والإيمان العميق هو السلاح ضد الطوفان، هو صاحب السفينة التي كانت ملجأً وملاذاً من الغرق وسط الطوفان والغضب الإلهي، لكن غياب القائد المنقذ في لحظة الطوفان يفتح المجال أمام مصير مجهول غير محسوم، إذ الطوفان بلغ ذروته، والموج يعصف في (الليل)، وهي استعارة عن (الغموض، الضياع، وربما الظلم). إذا كان نوح قد غاب، فهل من نجاة؟ يبدو أن السياق لا يَعِدُ بها للطغاة. وأن الطغاة هم رمز الجبروت والسيطرة مهما كانت بروجهم عالية. سيكونون ضحايا الطوفان يوما ما وينقلب العذاب على الظالمين. والشاعر (أجود مجبل) يعتني باختيارات عناوين دواوينه الشعرية ويطبعها بطابع رمزيا، ففي مجموعته الشعرية (الجراسون) يكتب قصيدة بعنوان جراسون، يقول فيها: (مجبل، 2024م، صفحة 729) .

الجراسين في الاجراس ناموا
لكي يصحوا
على وطن مبين
فصار لصمتهم
طعم الأغاني

يتميز هذا النص بلغته الرمزية الإشارية الإيحائية. ولا ينحصر الرمز في المفردة الواحدة، بل نجد رمزا ممتدا يشمل جملا شعرية بكاملها، فالعنوان (جراسون) يمثل بؤرة رمزية تأويلية– والجراسون هم– الذين يقرعون الأجراس للاقتتال وإشعال الحروب الدينية فهم رمز الفساد والفتنة والقتل والدم والحرب والهلاك، ولأنّ الجهل صار مرضاً يقوض ويهدم ويشيع الفرقة والانقسام.. ولا بد من ثائر "تشريني"، ولهذا فإن الشاعر يقدم هذه الصورة قاصدا الحث على الثورة على كل مظاهر التخلف ومظالمه التي تقيد حرية الآخرين وتمنعهم من رغد العيش. ويرى الشاعر علاج هذا الخراب بالترسيخ وإشاعة الفكر الحر لأنّه يحرر الإنسان من أوهام لطالما ترسخت،

DOI: https://doi.org/10.47831/xew5rz71

ويحطم أصناما عبدت طويلا، وعبر رصد عالم تغيب عنه القيم الإيجابية، وتحل فيه، بالمقابل، قيم سلبية، نجد في استبطان للإنسان هذا العصر الذي ينحدر نحو الشر والبغضاء بلا هوادة، وقد فقد إنسانيته وتشيأ. فصار مثقلا بالحقد، وينشر الخراب، وان المجازر التي ترتكب باسم الدين، من قبل أناس ركبوا موجة التيار الديني وغرقوا بالجهل هم سبب إذكاء النار (مجبل، 2024م، صفحة 743) :

بعض القصائد يا مولاي

اضرحة

فهل ستبكي علينا هذه اللغة

لم تكترث معجزات الانبياء لنا

فقل لهم انت:

ان الشعر معجزة

فالقصائد في مجملها وقفات إنسانية، لم يتوان الشاعر من رسم الصور التي حدثت ولازالت تحدث من طفولة بائسة وأحلام صعب تحقيقها، كأنه يشي لنا بأنه يحزن لكل مشهد تستذكره إنسانيته المعذبة ولأنه ذاق ذاك الحزن والذي ينغرز في النفس مثل مدية قاتلة وبلا رحمة واستطاع الشاعر كعادته في دواوينه السابقة أن يطوع اللغة، من أجل التعبير عن مقاصده. ومن أشكال ذلك، توليده حمولات لغوية للدلالة على الدرك الذي وصله الإنسان من انحطاط ونزوع نحو الشر ولكن بلغة فنية جمالية.

هذا العنوان وما ضمّ من رمزية تنهل كثيراً من مفهوم الفكر/ الحرية. "الحرية ليست مفردة معزولة، بل حجر الزاوية وقطب الرحى لسلوك المرء في الحياة، وعلى كل المستويات والممارسات القمعية من " دينية –اجتماعية، وقد استطاع الشاعر بإنسانيته، ولغته التي تتجاوز التصوير الفوتوغرافي المباشر أن يعتمد الكثافة الرمزية والإيحائية لتجمع اللغة بين الوظيفة البلاغية والوظيفة الإبلاغية. وفي نص أخر يجسد الشاعر شخصية الأم في صورتها الكونية والوجودية ويستثمر الأم كرمز للحياة والانتماء في قصيدته (إيثاكا بِلا سُفُن) يقول: (مجبل، 2024م، صفحة 412) .

فَقلتَ: كلّا

أنا طفلُ الحياةِ هُنا

والأرضُ أمّي التي كانت ليَ الحِضْنا (مجبل، 2024م، صفحة 412):

والأم: هي رمز كوني جمعي بين الثقافات المشتركة ومحملاً دينياً (الأرض، الأم في التصوف الطبيعة، الرحم في الفكر الإنساني) إذ يتحول الحنان البيولوجي إلى حنان كوني فالأم ليست فقط امرأة/ جسداً، بل (الحماية، الولادة، الاحتواء والحنان). والأرض ليست تربة فقط، بل كائن أنثوي معطاء يحتضن الطفل الشاعر، وهي المنبع والمصدر للحياة والمعنى. ترسيخ صورة الام في هذا النص ليس مجرد تعبير عن الحنان، بل هو حجاج رمزي يستثمر مرجعية إنسانية مشركة لتبرير الوجود والانتماء فالمتكلم يُواجه الرفض أو الطرد أو الموت، ويقدم حجته القاطعة على أنه له في الأرض الام الحق في الحياة، كما للطفل الحق في العيش في حضن أمّه.

2ـ ترسيخ القيم الوجدانية:

وهو شكل آخر من الترسيخ التي اعتمدها الشاعر في كتابته، ويقصد به أنّ الشاعر حاول أن يرسخ مشاعره الوجدانية أو يعوّض عن شيء أحس بفقدانه بأشياء أخرى، وعبر تلك الأشياء كان يدلّ على ما فقده ويعوّض ذكره بها، ففي قصيدة (سيّد العربات) يقدم الشاعر إهداء إلى محمد بوعزيزي يقول فيه: "إلى محمد بوعزيزي الفتى التونسي الحالم الذي لم يمهلوه حتى يبيع ما في عربته من الخضار ففتح النار على جسده ليقرأ رماده الطغاة" (مجبل، 2024م، صفحة 242) .

وبهذا الإهداء الذي يبدأ فيه الشاعر قصيدته يحاول أن يحي الرموز الشعبية والتاريخية وتحويلها إلى عناصر حية داخل فعل ثوري تشكل مرجعاً مشتركاً مع الجمهور ليحقق الإقناع. شاعرنا يحول الكثير من الرموز مثل (النيل، العربة، المواويل) إلى شاهد إثبات داخل البنية الخطابية تُبرر الثورة وتعطيها شرعية روحية كل هذه الرموز هي حاضرة وفاعلة في نسق الترسيخ، على الرغم من أنّ الشاعر بدا متعاطفا مع شخصية البوعزيزي إلا أنه أتقن الحيلة الثقافية فكل الأماكن التي تظهر أسماؤها في القصيدة ترتبط ببغداد ارتباطا نفسيا مباشرا لتوقع الشاعر في فخ الإفصاح الجزئي، ثم يكمل خطابه قائلا (مجبل، 2024م، الصفحات 243–244) :

DOI: https://doi.org/10.47831/xew5rz71

لك المجد يا سيد العربات
التي صبحها خضرة ومواويل
تنشب وجهك في صحوهم وتغني:
(إذا الشعب يوماً)
....
مَنْ سَيَذُلُّ على النيل أقدامنا ؟
إنَّهُ النيل
يدخل في ساحة الثورة الآن
يغْسِلُ أَوْجُهَ مَنْ سهروا

وفي قصيدته المعنونة: (سَيِّدُ العَرَبات) يتخذ الشاعر من الرمز الكلي للفتى التونسي محمد بوعزيزي الحالم الذي قتلوه ولم يُمهلوه حتى يبيعَ ما في عربتِه من الخُضار، هيكلاً يبني عليه قصيدته الهاجية لأفعال الطغاة القاتلة، وهو بذلك يعبر عن مرجعيته الفكرية في إطار الرمز؛ الذي يتمرأى في النص بوصفه كوكبة من الصور التي يعمل الشاعر على تقديمها في شعره، وتكمن فائدة توظيفها في انتزاع المعنى منها، وهذا ما يجذب انتباهنا إلى معنى آخر مخفي يستشفه المتلقي من خلف المعنى الظاهري المباشر الموجود في النص (أصبع، 2009 ، صفحة 194) . فهو يحتاج إلى شيء من التأويل والتفسير لمعرفة المقصد الرمزي منها؛ يقول الشاعر أجود مجبل (مجبل، 2024م، الصفحات 242-243) :

هِيَ الأرضُ واقفةٌ خَلْفَ بابِكَ
تُشرِقُ فيها الفرائسُ
إِئْذَنْ لها يا حبيبي لِتَدخُلَ
إنَّ غُبارَ المماليكِ أفسدَها
والجنودُ يبيعونَ يوسفَ
كالنفطِ بالعُمْلَةِ الأجنبيَّةِ كُلَّ صباحٍ
وأنتَ على شاطئِ المتوسّطِ
جِئتَ تَبيعُ فراعنةً في الهَزيعِ الأخيرِ مِنَ العُمْرِ
تَكنِسُ أسماءَهُمْ والتماثيلَ
والصُّوَرَ الطَّوطَميَّةَ
تَجْرِفُ كُلَّ الهُراءاتِ عن وطنٍ هائلٍ
كُلَّما اختزلَتْهُ حقائبُهُمْ
عادَ ممتلِئًا بالشُّرُوعِ
لكَ المجْدُ يا سَيِّدَ العَرَباتِ
التي صُبْحُها خُضْرةٌ ومواويلُ
تُنشِبُ وجهَكَ في صحوِهِم وتُغنّي
(:إذا الشعبُ يومًا)
فتَنهمِرُ الطَّلَقاتُ كَسِرْبِ جَرادِ

يأخذ الرمز الكلي لشخصية البوعزيزي موقعه المتميز في السياق الشعري المحمل بالتراجيديا والألم، فالشعر هنا عالم مختزل لمشهد القتل المأساوي لفتى يسترزق من بيع الخضار على عربته التي حولته إلى سيد العربات، حيث صعّد الرمز من مشهدية القتل حتى لحظة الفصل بين ما هو لغوي وما هو فكري مضمر ومخبوء في جلدة النص، فالفكر الذي ينطق عنه الموقف هو فكر سياسي واضح مضاد للظلم والظالم وداعٍ إلى الثورة عليهما، ورمز للمقاومة والاستشهاد والبطولة، و لعلّ هذا ما يحتاجه العالم في ظل معاناة القهر والحرمان والفقر والفساد القابع في كل مكان، وقد جاء التوظيف الكلي للرمز(شخصية محمد البوعزيزي) لتستغرق الشخصية

DOI: https://doi.org/10.47831/xew5rz71

القصيدة من أولها إلى آخرها، حيث يسقط الشاعر على تفاصيلها كل أبعاد تجربته المعاصرة (زايد، د.ت، صفحة 264) ، وفكره الخصب، ففي شعره توتّر بين الانكسار والجنوح إلى التّحدّي، بين تمثّلات الموقف بقسوة الرجال في ملاحم الصمود والميل إلى ذرف الدموع، حيث يعاد بناء المأساة خارج قسوة الواقع، وللرمزي هنا دلالة موصولة بتمام القيم، وفوران النسق السياسي للفكر الحالم بوطن حر مستقل؛ فهو أكثر حياة من الأحياء، هو الشموخ، وحتى الحزن فهو حزن ممزوج بالتّفرّد والقوة والتحدي الدائم والمجابهة للمصير المحتوم؛ ومن هنا تأتي الدلالة السياقية والحجاجية للتركيب التناصي المغروس في جسد القصيدة كجرحٍ غائر وعميق الدلالة في الآن ذاته، ألا وهي: (:إذا الشعبُ يومًا) فهذا الكلام لا يتعدى كونه لوناً من ألوان الشيفرة في النص الشعري وله القدرة الكبيرة على التعبير عن الكثير من الأشياء بطريقة أكثر قدرة على الإيحاء والتصوير، وهي تتقاطع على مستوى الدلالة والتعالق النصي مع نص أبي القاسم الشابي المعنون: (إرادة الحياة) والتي تتحول فيها عبارة (إذا الشعب يوماً) إلى نمط يتكرر في القصيدة والذاكرة الشعبية المرتبطة بالنضال الوطني للتحرر، فهي قصيدة وطنية ذات أبعاد إنسانية كونية يخرج فيها أبو القاسم الشابي عن البعد المحلي و الوطني لينفتح على القيم الإنسانية التي تعبر عن الإنسان الحر رغم أنها كتبت في ظرفية تاريخية خاصة هي زمن الاستعمار الفرنسي للبلاد التونسية إلا أن ما يشغل الشابي في هذا النص هو الإنسان عامة و مطلقاً بعيداً عن حدود الجنس والعرق و اللون و الدين و اللغة، كما تكشف القصيدة إيمان الشاعر بقدرة الشعوب على تحطيم القيود ونيل الحرية بما تقدمه من التضحيات، لذا فهي تعبّر عن التفاؤل وحب الحياة، فكلُّ ليلٍ لا بُدّ أنْ ينجلي ويزول بعد أن تُشرق شمس الحرية؛ يقول أبو القاسم الشابي (الشابي، 2005م، صفحة 70) :

إذا الشعب يوماً أراد الحياة فلا بدّ أن يستجيب القدر

يلاحظ القارئ مباشرة قوة الخطاب في هذا البيت الشعري الذي هو مطلع القصيدة، وعتبتها الاستهلالية، وهو يبدؤه بصيغة حجاجية يستخدم فيها أسلوب الشرط لكي ليربط الإصرار على الحياة والسعي لها بالاستجابة الأكيدة من القدر، وهكذا تتكثف في نص الشابي معاني الإرادة المتفائلة والإيجابية، فعشق الإنسان لهذه الحياة وإصراره على حقه بالحرية في هذه الدنيا يجعله صاحب حق وواجب؛ وصاحب فعل واستحقاق لما يجبْ أن يكون وفي أي زمن من الأزمان، وتتحول اللازمة (إذا الشعب يوماً) إلى دليل يرشد القارئ إلى ما يريده النص منه بالضبط، أي تقوية الإرادة وتفعيل نمطها الشعري؛ يقول الشاعر أجود مجبل (مجبل، 2024م، الصفحات 243-244) :

فتَنهمِرُ الطَّلَقاتُ كَسِرْبِ جَرادٍ
يُعِيرُ البساتينَ تَذكِرةً لِلخريفِ
وتأتي العواصمُ مدعُوكةً بالأناشيدِ
والصِّبْيَةِ الشاهقينَ
(إذا الشعبُ يومًا)
ونارُكَ تَقري الضيُوفَ على شاطئِ المتوسِّطِ
والهاربينَ لِلَيلِ الفَرنْجَةِ
فوقَ قواربَ
كانتْ تخُونُ مَواعيدَهُمْ دائمًا
ثُمّ ينساهُمُ البحرُ والساحلُ العربيُّ
(إذا الشعب يومًا)
وهذا رمادُكَ بَوصلةً لِلملايينِ
علَّقَهُ الفِتْيةُ القلِقُونَ بِبغدادَ
فوقَ المداخلِ
تعويذةً لِلطغاةِ
وطافتْ عليه الجماهيرُ سَبْعًا.

DOI: https://doi.org/10.47831/xew5rz71

يربط الشاعر بين ما حصل مع البوعزيزي وخسارته لحياته ظلماً على يد الجلادين، وما دافع عنه الشاعر الشابي في شعره وتبنيه لنضال الشعب التونسي ضد الاستعمار الفرنسي، وتضحياته الكبيرة والمتجددة، فالجلاد هنا واحد، ونمط أفعاله متكررة، وإرادة الفعل المضاد واحدة ومتكررة، وعليه يجب أن تتجدد اللازمة فتكرار القرع للسمع يقوى حصول الاستجابة، أو يثير ما يجب إثارته في القارئ.

وفي قصيدة (مَقامةُ إبراهيم) وهي مهداة (إلى إبراهيم الخياط) وهو شاعر شغل منصب الأمين العام لاتحاد الأدباء والكتاب في العراق، وكان مثالاً للطيب والاخلاق والإيثار، فكسب حب الجميع، يقول (أجود مجبل) (مجبل، 2024م، صفحة 510) :

كانَ ضَوءً
مِنْ لَيال بِقيت
بَعدهُ خاليةٌ مِن قَبسِ
نَعشُهُ مَرَّ سريعاً
مِن هنا
بِضحىً في فقدهِ مُنغمسِ
فوقهُ حَطَّ حَمامٌ
ومضى
باحثاً عن حُلْمِهِ المندرِسِ
هُوَ مَنْ أسَّسَ جمهوريّةً رَحبةً
للبرتقالِ المشمِسِ
فارساً كانَ
على أسوارِها

ويحضر ترسيخ الأمل في هذه الدفقة الشعريّة عندما يعوّض الشاعر عن السواد الذي حلّ بفقد هذا الشاعر الكبير بالضوء والقبس والضحى والبرتقال المشمس والفروسية، إنّ تعبير الشاعر ليس خاصا به بل هو نقل لصورة جمعية عامة لا تريد ان يرحل عنها أديب كبير ولا تريد أن يسري ظلام الجهل، فعبر الشاعر بالألفاظ التي توحي بأمل استمرار نهج الأدباء والشعراء، بأمل أن يكون منارة للجيل القادم. وفي قصيدة (كَأَنَّهُ هُوَ) يلامس الشاعر الأحاسيس الإنسانية التي تلامس المتلقين فيقول: (مجبل، 2024م، صفحة 421) :

وقال لي شيخنا الأعشى
أنا قلق عليك
فالشعرُ ضوءٌ باهرٌ يُعشي
فلا تُحدّقْ طويلاً في القصيدة يا فتى
ولا يَختلِطْ مَعناكَ بالعَيشِ
فقدْ تصيرُ البلادُ الحُلْمُ مقبرةً
ويُصبحُ الوطنُ العُشيُّ كالنَّعشِ
(كأنهُ هُوَ) يا بلقيس مَوعدُنا
فَقَبِليني على مرأى من العرشِ
غريبةً كنتِ قبلَ الحبِّ سيّدتي
كغُربةِ الموناليزا قبلَ دافنشي

ويلاحظ من الأسطر الشعريّة السابقة أن الشاعر يبدأ من القديم باستحضار شخصيّة الأعشى ويستمر حتى الوصول إلى الحديث باستدعاء الموناليزا ودافنشي، وهذا يعني أنّه يتجرّد من الماضي الجامد الذي لا يمكن للإنسان أن يتحرر أو يتطور عبر تبنيّه وترسيخه للحديث، ويحاول أن يدعو إلى فكر جديد يجعل الإنسان ساميا وحرا، ولعل هذا الاستدعاء الموجّه نحو الآخر المخاطب هو نتيجة وعي داخلي فردي وجمعي يسعى عبره الشاعر للتأثير في الآخرين بغية اللحاق بموكب التطور والحداثة. وفي قصيدة (بغدادُ تَحكي) نكون مع بغداد، التي تسكن شغاف القلوب، تلك المدللة الغنوج، وهو يحكي لنا عن لسانها ما آلت إليه الحياة فيها:

DOI: https://doi.org/10.47831/xew5rz71

مَرّوا ببغدادَ عُشاقاً

فأحزنهم

وغْدٌ على دمعِها يختالُ

أو مِسخُ

رأوا على النخلِ

للغربانِ مملكةً

وللشحاريرِ

يدنو مُوحشاً فَخُ

تذوي الحياةُ

وتعرى في شوارعها بُخلاً،

وكل حديث عن بغداد ومعاناتها وأجزائها وأماكنها فيه كثير من التحريض والتنوير، لأنّ الشاعر لا يرغب برؤيتها حزينة، ويحاول أن يغيّر شيئا في عقول الناس لإعادة إحيائها. إذ يقول في قصيدته (وطن بالألوان المائية) يقول:

من لحظة اليأس العظيمة

يولد الثوار مبتسمين

والأبطال

ستدوسكم أصواتهم

وستختفون عن البلاد

كما اختفت أدغال

في المقطع الشعري السابق صورة نابعة من رحم اليأس، وازدياد الألم، والشاعر لم يجد لواقعه الفاسد حلا إلا بالثورة التي تحطّم كل السلاسل التي وضعها الانحطاط الفكري والاجتماعي، وعبر تلك الأسطر الشعريّة ينتقد بشكل مضمر جور الحكّام، ويفضح ظلمهم ويلوم الناس الذين يقدسون الأشياء، وفوق ذلك كلّه يرفع مشعل الثورة محاولا ترسيخ وتنوير عقول الخانعين ليزيحوا اليأس عن قلوبهم ويتحرروا من العبوديّة.

3ـ الترسيخ عبر الإيقاع والتكرار:

يمكن للقارئ في شعر الشاعر (أجود مجبل) أن يقف على الموسيقى الداخلية في النص وفي بدايات (المقاطع الشعرية)، أن يكشف عن التكرار معتمدا على تحديث العناصر التي شكل عبرها بنية نصّه الشعري، وانتقل من الشكل الذي يمثل شكل القصيدة القديمة، إلى بناء جديد قائم على الأسطر الشعريّة، واستخدم فيه مجموعة من الآليات الجديدة من مثل الانزياحات الشعرية، ووحدة الموضوع وتماسك البناء، والموضوعات الحياتيّة، وعبر هذا البناء اكتظت هذه المجموعة بأفكار مترابطة شكّلت نسقا موحداً عمد الشاعر إلى ترسيخه، ولعلّ الرؤية الفنية التي تبناها الشاعر (أجود مجبل) ساهمت في بناء سياق فني متقن في عملية تكوين جسد القصيدة الشعرية الحديثة، بوصفه واحداً من الشعراء الذين عملوا على تحديث القصيدة العمودية، لتواكب التطور وتدخل في دائرة الشعر الحديث، الذي أخرجها من الرتابة الجامدة، والنمط الشعري المكرور، إلى صورة أخرى تُظهر الجهد الفني الهادف للتغيير، من حيث تجديد المفردات، والأدوات، والعناصر، والبناء، على نحوٍ لا يضرّ بالأساس الذي يلازم عمليّة البناء الشعري مثل الوزن والقافية والإيقاع، بل اقتصر بإبداع فنيّ فذ على تغيير المضمون وتحديثه، وجعله يتوازى مع حركة التطور في الحياة بكل تغيراتها الممكنة، وهذا الأمر جعل من القصيدة الشعرية أنموذجا يمس حياة المتلقي ليستطيع هذا الأخير متابعتها وفهمها والتواصل معها وفهم مقاصدها والتفاعل معها ومع كل كلمة أو صورة شعرية وردت فيها؛ وذلك لأنّها لامست واقعه وجزئيات حياته وحركت أحاسيسه ووجدانه، وسلّطت الضوء على أحلامه ومستقبله وهمومه ومعاناته وأفكاره المضمرة التي لا يستطيع إخراجها من داخله. إذ يقول الشاعر أجود مجبل في قصيدة (العازف) (مجبل، 2024م، صفحة 581) :

تفاجئ العازف لما رأى

حمامة تسكن قيثاره

DOI: https://doi.org/10.47831/xew5rz71

تنصت أحيانا لألحانه

وتارة تحضن أوتاره

قال لها: لتطمئني هنا

فالجار يحمي عندنا جاره

عاشقةٌ أنِت ومعشوقةٌ

ما أروعَ العشقَ وأسَرارهُ

في هذه الدفقة الشعرية يفيض عذوبة ورمزية ويحمل موسيقى داخلية تولد إيقاعا هادئاً متناغما يعكس حالة الصفاء والحب والتألف بين العازف والحمامة بين الفن والطبيعة بين الحس والصوت، وترسيخ الموسيقى الداخلية والتخييل الصوتي في النص الشعري.

النص مشحون بطاقة موسيقية داخلية ترسخ الصورة المركزية، فصورة الحمامة التي تقيم داخل القيثارة لا بجوارها تعزف الحب مع اللحن تألف الفن مع الطبيعة، هنا تتجلى الموسيقى الداخلية كوسيط بلاغي جمالي يوحد العناصر الرمزية للنص ويمنحها انسجاماً سمعياً، مما يتيح للنص مرونة موسيقية تتماشى مع جو النص اللطيف والمتأمل.

و"استغل الموسيقى الداخلية للنص وتأثيرها الصوتي عبر التكرار لحر (التاء) مع بدايات المقاطع الشعرية (تفاجأ، تسكن، تنصت، تارة) فضلاً عن ذلك متن النص المتغلغل في ذلك الصوت وما يعطيه من دلالة تتراوح بين القوة والضعف فضلاً عن تاء الابتداء للمؤنث التي حولت الفعل من المضي إلى الاستقبال والحضور (خليفة، 2023م، صفحة 231) .

وفي نص آخر من قصيدته (تغريبة الرسام) فهي من القصائد الزاهية بالألوان والطبيعة، لموضوعتها الفنية المتعلقة بالرسام (حسون الشنون) إذ يقول فيها (مجبل، 2024م، صفحة 462) :

هُوَ حَتماً بجَدْسِهِ مفتُونُ

حِينما

رافقَتْ يَديهِ الغُصُونُ

يملأُ الليلَ بالنجومِ

ويمضي

ولَهُ في النهارِ

صمتٌ هَتُونُ

هُوَ حَتماً

ألوانُهُ إذْ يُعَرّيها

وفِرشاتُهُ التي لا تَخونُ

معَهُ صوتُهُ

إذ قال للأشجار قبل الربيع

كوني، تكون

هذه الدفقة الشعرية تحمل موسيقى وايقاعا هادئة تكرار كلمة (هو) في مواقع مفصلية في المطلع والمنتصف مما يخلق وحده إيقاعية شعورية تشبه اللازمة الشعرية، ويرسخ الإيقاع الدلالي هذا التكرار يوفر تماسكاً صوتياً يؤسس نغمة تأملية متواترة، كذلك يتكرر الضمير (ـه) في (حدسه، يديه، ألوانه، فرشاته، صوته) مما يشبه التدوير الموسيقى مع كلمة (هو) وفيها لغز لمن تشير كلمة (هو) (لشاعر، فنان، إلها) كذلك وجود مفردات تتشابه وتتجاوب موسيقياً مثل (النجوم ،النها ،هتون، تكون) كلها تعزز التواشج الموسيقي وتحمل جرساً موسيقياً عاطفيا ضمن بناء النص ويعزز حضور النغمة الشعورية فيه. **وفي نص آخر للشاعر في قصيدته (الجراسون)** (مجبل، 2024م، الصفحات 729-730) :

وقيل

لِحزنهم شَكْلُ الزَّنينِ

يُرَبُّون الكثيرَ منَ الليالي

DOI: https://doi.org/10.47831/xew5rz71

وأصنافاً

مِنَ القَلَقِ الثمينِ

على الساحات مُبتسمينَ

داروا

بكُلَّ جَلالةِ الفَرِحِ الحزينِ

في هذه الدفقة الشعرية تكشف عن اشتغال صوتي دقيق يقوم على بناء تناغم وتكرار يسهمان في تكثيف الحالة الشعورية الحزينة الدهشة والسكينة المختبئة خلف القلق العميق، النص ذات قافية موحده بالنون والياء(ين) تولد إيقاعاً داخليا هادئاً، مما يعكس ترددات الحزن ذاته، وتكرار الكلمات ذات النهايات المماثلة يمنح النص صوتاً داخليا يُشبه (الرنين)، كذلك تكرار الحروف مثل الراء (رنين، يربون، داروا، فرح) هو صوت داخلي ذات طابع اهتزازي يعزز الإيقاع الوجداني في النص، وكذلك حرف السين في (الساحات، مبتسمين) يوحي بالهمس، فيسهم في الطابع التأملي الهادئ داخل النص، النص يجمع بين النقيضين هما (القلق، والابتسامة، الفرح والحزن) على الرغم من قلقهم إلا أنهم يظهرون للعيان مبتسمين، والحزن والفرح بين الفقد، الصبر، والحزن والرضا، وهي تجربة شعورية عميقة فهم في ساحات القتال فرحين برغم القلق العميق.

4ـ ترسيخ المفارقة كأسلوب تفكير:

المفارقة: "هي أسلوب تعبير يهدف إلى إيصال المعنى بطريقة إيجابية وشفافة تجعل القارئ يرفض النص بمعناه المباشر ويستنبطه لاستخراج معان متعددة دون أن يمتلك القدرة على ترجيع أحدهما غيره، مع ما يمكن أن تتصف به من تنافر أو تباين أو غموض، وما ما تثيره من مشاعر السخرية عند منشئها ومتلقيها على حد سواء" (العيد، د.ت، صفحة 41) ز والمفارقة في أبسط ما يقال فيها أنها: " شكل لغوي يراد به نقيض معناه الظاهر، كأن تقول لمن لم يحسب اللعب في لعبة ما: أنت لاعب ماهر" (قاسم، 2012م، صفحة 27) .

مما تقدم أن المفارقة حيلة لغوية وبلاغية مراوغة، لما لها قدرة مؤثرة في المتلقي، وهي حالة من التضاد بين الواقع والمثال بين الحياة والموت عناصر لا يمكن اجتماعها في سياق واحد ولا موقف واحد وما إلى ذلك من العناصر التي يحمل اجتماعها في طياته عنصر المفارقة. وقد ورد ذلك كثيراً في نصوص الشاعر أجود مجبل وقد وظفه في قصائد عدة ومنها قصيدته (أكليل الحكايات) (مجبل، 2024م، صفحة 224) :

بروحك أزدهار الوداع

تكدست

وفيك لالاف الرحيلات

متحف

في هذه الدفقة الشعرية مفارقة تؤدي وظيفة إقناعية حاسمة لأنها تحدث صدمة عقلية تربك المتلقي وتجعله يعيد النظر في دلالات النص المألوفة مثل (الوداع) والمفارقة أن (الوداع مزدهراً) المعنى يحمل توتراً للمتلقي كيف للوداع أن يكون مزدهراً هذا سؤال حجاجي والنص لا يقدم إجابة فالنص مفتوح أمامه وان المعاني ليست جامدة بل قابلة للتأويل والتجاوز برؤية تأملية فقد يكون الوداع ازدهاراً والرحيل قد يكون نوع من أنواع الجمال.

وظف الشاعر المفارقة الشعرية كآلية حجاجية بين لفظين متضادين هما (الروح بوصفها رمزاً للحياة) و(الوداع بوصفه رمزاً للفقد والموت) غير أن المفاجأة الجمالية تكمن في نعْت الوداع بـ(الازدهار)، مما يحوّل لحظة الفقد من شعور سلبي إلى أمل جديد، بما يوحي أن الرحيل أو الفقد نهاية قد تتضمن الجمال الداخلي. وتستمر المفارقة في قول الشاعر: (وفيك لآلاف الرحيلات متحف)، إذ يُحوَّل الذاكرة إلى أرشيف محفوظ لرحيل الآخرين وتحوّله إلى ذاكرة فنية أو رمزية. وفي نص أخر يحمل المفارقة في قصيدته (أكليل الحكايات) (مجبل، 2024م، الصفحات 729-730) :

DOI: https://doi.org/10.47831/xew5rz71

في معجم البرد معطف

لهذا أتاك النخل... مغرورق الخطى

وجاءك زيتون القصائد يزحف

هذا النص يوظف الصورة الشعرية الغرائبية واللغة الرمزية المكثفة، مع التركيز على المفارقة والبعد الحجاجي، إذ قام الشاعر بتشخيص اللغة فأصبحت جسماً ماديا بحاجة إلى غطاء حين يتلبسها البرد ويقصد هنا قساوة اللغة وجفافها وجمودها فتحتاج إلى معطف من الحنان أو الحاجة إلى حماية داخلية هو (الدفء) ونتقي من البرد بمعطف فالبرد لا يواجه باللغة، في هذه الصورة لم يجعل الشاعر اللغة وسيلة للتعبير بل جعلها كائن بشري يشعر ويحس ويضعف، كذلك صور النخيل ضعيف أو حزين وخطاه مرتبكه، والمتعارف عليه أن النخيل شامخ ثابت، والزيتون رمزا للسلام والأمان ولكنه يزحف ببطء منكسر، وكذلك القصائد لا تحلق، جاءت كل الصور بما تحمل من رموز ضعيفة، ليسمح للقارئ تأويل النص لأن كل الرموز ما عادت على صورتها الأصلية فالشاعر أحدث خلخلة بالنظام الجمعي المتعارف وأن كل شيء قابل للتغير حتى الشعر.

وفي قصيدة أخر للشاعر تحمل المفارقة الشعرية في قصيدته (مزامير.. لم تبقى) (مجبل، 2024م، صفحة 56) :

وطني... رسائل دهشة تصل

وحكاية إيقاعها الأزل

دونته طفلا بذاكرتي، فقرأته

والعمر يكتهل... خبأته بدفاتري

ولها فاخضرت الكلمات والجُمل.

في هذه النص حالة وجدانية عاطفية عميقة تتداخل مع الذات والوطن، فالوطن ليس مساحة جغرافية على الخارطة بل هو كيان مستقل يرسل برقه إلى المتلقي متى ما شعر بفرط قربه منه وهذه (الدهشة مستمرة) وهنا تكمن المفارقة إذ يجعل من الوطن تجربة روحية أزلية.

فبين فعلي القراءة والتدوين زمن طويل إذ رسم الوطن طفلاً وعند قراءته أصبح كهلاً كان الوطن متجدد أو يعاد ادراكه وفهمه عبر أطوار العمر. فالوطن حكاية وجدانية يعاد صياغتها وتأويلها في كل فصل وفي كل مرحلة عمرية وتصبح الذاكرة سجلا لتكوين هوية عراقية تحمل طاقة الحياة الخضراء تدل على أن الوطن لا يكتب فقط بل يخضر المعنى منه. وهكذا يتحول النص إلى خطاب حجاجي بالمعنى الجمالي، أي إقناع بالتجربة عبر إثارة الدهشة، لا بالمنطق الصارم.

وعبر الأمثلة السابقة يمكن أن نقول إنّ نسق الترسيخ الذي اتبعه الشاعر في إبداعه ابتداء من شكل القصيدة إلى مضمونها كان بمثابة دعوة للتجديد والخلاص من براثن الماضي، ويحمل سمة حجاجية باستخدام اللغة الشعريّة لأنه يكشف عن الرغبة في ترسيخ الشعور بالقوة بعد الضعف، والوطن في الأمومة والانتماء بدل التهجير والحرمان، واستطاع بإبداع أن يوظف هذا النّسق ويخاطب عبره أكبر كم من المتلقين الإيجابيين بغية التأثير وإحداث التغيير.

وبناء على ما سبق يمكن القول: إن الشاعر أجود مجبل قد برع إلى حد كبير بالنقد والحجاج واستطاع أن يحقق تفاعلاً إنسانيّاً، بغية إصلاح كل شيء في الوطن، وعلى نحو عام فإن الشاعر استطاع تقديم تجربة عميقة دفع فيها اللغة إلى الحد الفني برؤيا عرّت كثيرا من الحالات والمواقف والأشياء، واستطاع بأسلوب لغوي حجاجي أن يحقق وظيفتي الإبلاغ والاتصال فيما كتبه وقد تبيّن أنّ الشاعر هو أحد الشعراء الذين خرجوا من بوتقة التقليد وإعادة المكرور، وطالبوا بالحداثة في فضاء رحب واسع، نادى عبره الشاعر بالانتصار على الفوضى و الدمار، والعمل على إعادة بناء الإنسان والأرض.

DOI: https://doi.org/10.47831/xew5rz71

المصادر

أبو القاسم الشابي. (2005م). *ديوان أبي القاسم الشابي، شرحه وقدم له أحمد حسن بسج، ط4*. بيروت: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية.

أجود مجبل. (2024م). *الاعمال الشعرية* . دار الشؤون الثقافية ، العامة.

أحمد بوحسن. (2003م). *العرب وتاريخ الأدب، ط1*. الدار البيضاء: دار توبقال.

سليمان أحمد الظاهر . (2014م). *مفهوم النسق في الفلسفة*. سوريا: مجلة جامعة دمشق، مج 30، ع4.3.

صالح خليل أبو أصبع. (2009). *الحركة الشعرية في فلسطين المحتلة بين عامي (1948 و 1975 م) دراسة نقدية* . عمان: دار البركة للنشر والتوزيع.

عبد الرحمن عبد الدايم. (2011م). *النسق الثقافي في الكتابة*. الجزائر : مذكرة ماجستير، جامعة مولود معمري، تيزي وزو.

علي عشري زايد. (د.ت). *استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر*.

محمد بن لافي اللويش. (٢٠١٠م). *جدل الجمالي والفكري قراءة في نظرية الأنساق المضمرة عند الغذامي*. بيروت ـ لبنان.

محمد علي الكندي. (د.ت). *تجنيس العلاقات في مسرحية الغزالات قراءة في الأنساق الثقافية*. مجلة كلية الآداب، ع11، جامعة الأسمرية.

محمد فؤاد السلطان. (2010م). *الرموز التاريخية والدينية والأسطورية في شعر محمود درويش*. مجلة جامعة الأقصى (سلسلة العلوم الإنسانية) م14، ع1.

نسرين درعم خليفة. (2023م). *التناص في شعر أجود* . مجبل مجلة المستنصرية للعلوم الإنسانية، م1، ع2.

هيثم محمد قاسم. (2012م). *المفارقة في شعر أبي العلاء المعري، دراسة تحليلية في البنية والمغزى، الطبعة العربية*. الأردن: مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع، دار اليازوري.

يمنى العيد. (د.ت). *فن الرواية العربية*. القاهرة: دار الأدب.

References

Al-Shabi, Aboul-Qacem. (2005). Diwan of Aboul-Qacem Al-Shabi, annotated and introduced by Ahmad Hasan Basaj, 4th ed. Beirut: Mohammad Ali Baydoun Publications, Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah.

Mijbil, Ajwad. (2024). The Poetic Works. House of General Cultural Affairs.

Bouhassan, Ahmed. (2003). The Arabs and the History of Literature, 1st ed. Casablanca: Dar Toubkal.

Al-Zahir, Sulaiman Ahmad. (2014). "The Concept of System in Philosophy." Syria: Damascus University Journal, Vol. 30, No. 3-4.

Abu Osba, Saleh Khalil. (2009). The Poetic Movement in Occupied Palestine Between 1948 and 1975: A Critical Study. Amman: Dar Al-Barakah for Publishing and Distribution.

Abdel-Dayem, Abdel-Rahman. (2011). "The Cultural System in Writing." Algeria: Master's Thesis, Mouloud Mammeri University, Tizi Ouzou.

Zayed, Ali Ashri. (n.d.). Invoking Heritage Figures in Contemporary Arabic Poetry.

Al-Luwaish, Mohammad bin Lafi. (2010). The Debate of the Aesthetic and the Intellectual: A Reading of Al-Ghaddami's Theory of Implicit Systems. Beirut, Lebanon.

Al-Kindi, Mohammad Ali. (n.d.). "Gendering of Relations in the Play 'Al-Ghazalat': A Reading of Cultural Systems." Journal of the Faculty of Arts, No. 11, Al-Asmarya University.

DOI: https://doi.org/10.47831/xew5rz71

Al-Sultan, Mohammad Fouad. (2010). "Historical, Religious, and Mythological Symbols in the Poetry of Mahmoud Darwish." Journal of Al-Aqsa University (Humanities Series), Vol. 14, No. 1.

Khalifa, Nisreen Dir'am. (2023). "Intertextuality in the Poetry of Ajwad Mijbil." Al-Mustansiriyah Journal of Human Sciences, Vol. 1, No. 2.

Qasim, Haitham Mohammad. (2012). Irony in the Poetry of Abu al-Ala al-Ma'arri: An Analytical Study of Structure and Significance, Arabic Edition. Jordan: Hamada Foundation for University Studies, Publishing and Distribution, and Dar Al-Yazouri.

Al-Eid, Yumna. (n.d.). The Art of the Arabic Novel. Cairo: Dar Al-Adab.

DOI: https://doi.org/10.47831/xew5rz71